هل نحسن التصرف أم نخضع للابتزاز؟

علي البداح

ها هي الكرّة تعود مرة أخرى وبأصوات ونغمات مختلفة، تقول إن الذئاب قادمة لافتراسكم وإنها تجتمع لتتفق على موعد الهجوم، وإن علينا أن نستعد إما للموت أو الهرب أو ...، وهذا هو المطلوب، أن نستعين بالأسد ليحمينا من هذه الذئاب.

نفس الحكاية ونفس الهدف أو الأهداف تتكرر بين كل فترة وأخرى وبأشكال ووسائل مختلفة هدفها دفعنا إلى الخوف وشراء السلاح والارتباط أكثر بالأسد، وحمايته والخضوع لأوامره وتسليم ثروة المنطقة له.

سماسرة الأسد والمستفيدون من خيراته وقرع طبول الحرب ووكلاء السلاح والباحثون والمحرضون على إشعال الفتن هم المسوقون للابتزاز والداعون في كل طرف إلى الاستعداد للمواجهة، وشراء كل أنواع السلاح، والنفخ في النخوة العربية والشجاعة والمواجهة بكل ما نملك حماية للأوطان من البعبع القادم من أي مكان.

وللأسف فإن السماسرة معظمهم في مواقع التقرير، وهم يزيدون من جرعة التخويف حتى ترتفع أرقام الصرف على شراء السلاح من ناحية، وتهريب الأموال من ناحية أخرى، وإنصات الحكومات لهؤلاء هو الذي سيودي بنا ويقضي على مستقبلنا أو ثروات بلادنا أو الاثنين معا.

لذلك لا بد أن يكون عندنا الوعي الكافي لما يجري وما يخطط وما يفعله السماسرة، وأن نتعامل مع هذا الابتزاز والخطط بعقول مفتوحة ويقظة تامة لتفويت الفرصة على من يريد بنا وبإيران شراً، عقول لا تفرح ولا تفزع من كلمة تقال هنا أو هناك، عقول تحركها لا عصبية جاهلية تتعالى على الغير ولا ترى في العالم مكانا لغيرهم، عقول تسعى إلى الخير لشعوبها، كل شعوبها، وترسم لنفسها وجيرانها مستقبلا زاهراً يفيد الجميع ويعلي من الحياة الكريمة لهذه الشعوب.

لا نحن ولا إيران نقبل بالمقامرة بمستقبل شعوبنا وتدمير ما بنيناه، ولا أحد يريد الحرب ولا ويلاتها وتدميرها، ليس من عاقل يريد لأي شعب الخراب؛ لأن حرب هذه الأيام ليست كحرب السيوف، حيث يتحارب الأفراد وتغلب الكثرة أو الشجاعة. الحرب اليوم دمار كامل لكل المتحاربين وليس فيها قوي أو ضعيف ولن يسلم منها طرف؛ ولذلك لا بد من مواجهة دعوات الحرب بدعوات للسلم والتعاون وتبادل المنافع بين كل شعوب المنطقة وحكوماتها، لا بد من تحقيق العدالة واحترام الكفاءة وتجريم التطرف.

لا بد من مد يد التعاون لإيران، لا تتركوا لسماسرة الحروب في الجانب الآخر فرصة للصوت الأعلى، ففي إيران كما عندنا مجرمو حروب لا يرون إلا الأرباح التي يجنونها من القتل والتخريب.

إيران بحاجة إليكم كما أنتم بحاجة إليها، الثقل الاقتصادي ووحدة الأرض والدين تجعل من هذا الإقليم أقوى قوة في العالم لو أحسنا التعامل بناء عليه، وبدل الاستماع لسماسرة السلاح لنستمع إلى صوت العقل والمستقبل وحق أجيالنا القادمة علينا. الخلافات الطائفية نتركها لعلماء الدين بأجندة واضحة تقدم خير الناس ومستقبلهم الطيب على أي شيء آخر.

نريد من قادة المنطقة في إيران ودول الخليج العربية أن يقدموا مصلحة شعوبهم ورخاءها على كل شيء آخر، وأتمنى لو بدأنا في مد يدنا إلى إيران وتقديم كل ما يسعد شعوبنا جميعا ليسود الاحترام والتعاون بدلاً من التناحر في هذه المنطقة الأهم في العالم.

العمالة الإثيوبية ... لنصارح أنفسنا أولاً

حسن مصطفى الموسوي
halmousawi@yahoo.com

استيقظت الكويت قبل أسبوع على جريمة جديدة مروعة راحت ضحيتها إحدى المواطنات على يد عاملة منزلية إثيوبية، ومعها بدأت موجة من حملة الغضب على العمالة المنزلية الإثيوبية والمطالبة بمنع استقدامها، وهو المطلب الذي استجابت له وزارة الداخلية بشكل سريع معلنة إنهاء إعطاء أذونات العمل لهذه الجنسية أو تجديدها. لكن أعتقد أن مثل هذه القرارات كان يجب أن تتخذ بروية بعيداً عن ردة الفعل الشعبية التي غالبا ما تكون انفعالية وغير موضوعية.

إن منع استقدام جنسية معينة ليس حلا لأن هناك عمالة منزلية من جنسيات أخرى ارتكبت جرائم قتل من قبل. نعم قد تكون بعض الجنسيات مثل الجنسيات المنتمية إلى القارة الإفريقية أكثر شراسة من غيرها لطبيعة الحروب الأهلية في تلك القارة، لكن ذلك لا يفسر أساس قيام بعض العمالة المنزلية بمثل هذه الجرائم، وأعتقد أن أساس المشكلة تكمن في نظرتنا المتعالية كمجتمع على هذه الفئة، والتي تؤدي إلى سوء معاملتها وعدم تقدير ظروفهم النفسية والمعيشية، وكأنهم ليسوا بشراً أساساً. لست أتحدث عن الجريمة الأخيرة، ولا أعتقد أن القتل مبرر كردة فعل لأي سوء معاملة إن وجدت، بل حديثي هو بشكل عام لأنه أعتقد أننا يجب أن نعالج مشاكلنا ونظرتنا إلى هذه الفئة قبل أن نصب جام غضبنا على جرائم بعض أفرادها.

إن سوء معاملة العمالة المنزلية منتشر وبشكل كبير في المجتمع، وخاصة من المواطنين نتيجة الثقافة الريعية وحياة الترف التي جعلتهم لا يعملون سوى في أعمال معينة، بينما تركوا كثيرا من الأعمال الشاقة مثل إزالة القمامة والمهن الفنية وبناء المنازل وغيرها للوافدين، وهذه الحالة هي التي تولد نظرة الاستعلاء واحتقار الآخرين واعتبارهم مجرد عبيد لخدمة شعب الله المختار المترف. فهناك كثير من الأسر تجعل العمالة المنزلية تعمل من الصباح الباكر إلى آخر الليل دون راحة، وهناك أسر تقدم فضلات طعامها للعمالة وكأنهم مجرد متسولين في الشارع، بل إن هناك حالات كثيرة لتعذيب هذه العمالة والتعدي عليها لفظيا وجسديا، وبعضها أدى إلى موت الخدم، ومع ذلك لم يطالب أحد بإنزال عقوبة جماعية على المواطنين مثلما يطالب اليوم بإنزال عقوبة جماعية على العمالة الإثيوبية!

إن مفتاح الحل الجذري للمشكلة هو إدراكنا أننا نتعامل مع بشر أحرار لديهم أحاسيس ومشاعر واحتياجات مثل باقي البشر، فمنا من يرسل ابنته للدراسة في الخارج وحيدة لكنها معززة ومكرمة ومع ذلك يظل قلقا عليها طوال الوقت، فما بالك بمن يرسل ابنته أو زوجته تاركة أبناءها إلى بيت غرباء لا يعرف عنهم ولا عن أخلاقهم شيئا لتعمل لديهم خادمة؟ ومثلما تحب النساء اللباس الأنيق عند الخروج من البيت فإن الخادمات أيضا يحببن لبس نفس اللباس الخارجي لا لباس البيت كما نرى في الأسواق، ويجب علينا تلبية هذه الحاجات الأساسية لهم، ولنكن صرحاء أكثر ونعترف بأن أغلبنا متورط في تجارة البشر لأن مجرد التنازل عن خادمة لمصلحة كفيل آخر دون أخذ موافقتها هو نوع من أنواع العبودية، وهناك الكثير والكثير من الملاحظات على هذا الملف الشائك، لكن حله لن يكون في إنزال عقوبة جماعية على جنسية معينة كما رأينا.

الأغلبية الصامتة: أزمة مساطر

إبراهيم المليفي
mulaifi70@gmail.com

من الواضح جداً أننا في «أزمة مساطر» مستفحلة تمارسها السلطة ومجاميع المعارضة وأيضاً مجاميع الموالاة، بمعنى آخر العلّة ضاربة في أطراف واتجاهات عدة، ففي مرة يحال كاتب مقال إلى أمن الدولة، وبعد شهر يكتب كاتب آخر نفس محتوى المقال السابق فيمر كما لو أنه لم يكتب أصلاً.

في كل مرة يلاحق فيها صاحب رأي على كلمة أو تغريدة، أو يقبض على مجموعة من "البدون" في تيماء لأنهم طالبوا بحقهم في "الحياة" الطبيعية، أتذكر الدور المفترض لجهاز أمن الدولة، وكيف تم حشره في قضايا متشعبة متفاوتة الأحجام والأهمية، وبالمقابل يتم إقصاء دور ذلك الجهاز الحساس في قضية الأسلحة المسروقة من مخازن وزارة الداخلية.

لقد استخدم مصطلح "الأمن" من الحكومة ومناصريها في خطابات التبرير والتشجيع لانتهاك الحريات العامة وتقليص أدوات الرقابة الشعبية، لأن الإدارة الحكومية فقدت سيطرتها على مجريات العملية السياسية، وفقدت معها قوة التأثير في شرائح وفئات عمرية كانت تستمد منها التأييد تاريخياً في مراحل سابقة.

كم مرة قيل فيها إن أداة الاستجواب تهدد أمن البلد واستقراره؟ كم مرة صورت فيها الأدوات السلمية كالندوات الجماهيرية والوقفات الاحتجاجية على أنها دعوة صريحة للانقلاب على الحكم؟ وكم مرة برر فيها استعمال العنف المفرط لتأديب المختلفين سياسياً على أنه شيء عادي يتم استعماله في الدول الديمقراطية والمتقدمة؟

من الواضح جداً أننا في "أزمة مساطر" مستفحلة تمارسها السلطة ومجاميع المعارضة وأيضاً مجاميع الموالاة، بمعنى آخر العلّة ضاربة في أطراف واتجاهات عدة، ففي مرة يحال كاتب مقال إلى أمن الدولة، وبعد شهر يكتب كاتب آخر نفس محتوى المقال السابق فيمر كما لو أنه لم يكتب أصلاً، شخص ما "يخورها" بالكلام على رئيس دولة عربية فيحاسب، وشخص آخر "يعميها" بمقابلات تلفزيونية عدة ضد حزمة رؤساء وملوك فلا نجد نفس الفعل أو حتى همسة.

الأمثلة كثيرة ومستفزة وما زلت أتذكر كيف أن مجلس الوزراء يستنكر الاعتداء على مرشح سابق، في لحظة ما، في مرحلة ما كانت تتطلب توصيل رسالة واضحة وعلنية بطبيعة تلك المرحلة وتحالفاتها وأداوتها الرخيصة، هنا علينا أن نذكر أن معظم السياسات الحكومية التي تعاني "أزمة المساطر" كانت هي الممول الأول لردود الأفعال الحادة، أو التحولات في مواقف من كانوا معها أو المحايدين، وهي للعلم ما زالت متواصلة، ولكن بوتيرة أقل لأن عدد المصادمات السياسية أقل، سواء داخل البرلمان المفكك على صعيد التحالفات والعمل المشترك، أو خارج البرلمان لبرود جبهات المعارضة التي ينتظر كل فريق منها فرصة للوثوب على الساحة حسب رؤيته وحساباته الخاصة.

إن حدثاً خطيراً مثل سرقة أسلحة أو خمور من مخازن الوزارة التي أوكلت إليها مهمة الحفاظ على أرواح كل من يعيش على أرض الكويت، يجب ألا يمر مرور الكرام؛ لأن كل الاحتمالات بشأن أين ذهبت الأسلحة كارثية، سواء بيع أو تصفية حسابات أو استعمال شخصي، والأخطر هو وصول هذه الممنوعات للشبكات والأيادي الخفية التي طالما تم تخويفنا منها.

أخيراً "أمن البلد" وعلى رأي رموز معارضة المعارضة "مو لعبة".

تسعد صفحة «إضافات» الأسبوعية التي تصدر كل يوم سبت، أن تحتضن ردود القراء وتعليقاتهم وآراءهم وصورهم المرسلة إلى العنوان الإلكتروني edhafat@aljarida.com على أن ترد تعليقات القراء مرفقة ببيانات الاتصال الخاصة بالمرسل، ونشدد على أنه لن يلتفت إلى الرسائل المجهولة المصدر أو تلك المتضمنة لآراء تتنافى مع الموضوعية والمهنية انطلاقا من دور «الجريدة» ونهجها الرامي إلى إعلاء قيم حرية التعبير عن الرأي بحياد وموضوعية وتوازن.

كيف تتخلص من السلبية؟!

د. ساجد العبدلي
sajed@sajed.org

النظرة الإيجابية عادة يمكن للشخص السلبي أو المتشائم دائما أن يكتسبها، لكنه في ذات الوقت أمر لا يمكن الحصول عليه ما لم تتوافر الرغبة الحقيقية لدى الإنسان لتغيير نفسه وتطويرها. تقول الحكمة الشهيرة، يمكنك أن تأخذ الحصان إلى النهر، ولكنك لا تستطيع أن تجبره على أن يشرب.

لكن الغريب أن البعض يصر على اعتبار تشاؤمه ونظرته السلبية والمتشككة دائما تجاه الأحداث والأشياء والناس من حوله جزءاً لا يتجزأ من مقومات الحصافة والذكاء والجدية، وهذا غير صحيح أبدا، لكن في المقابل، من المستحيل التخلص من التشاؤم ومختلف الأفكار السلبية بمجرد قراءة مقال أو حتى كتاب أو حضور محاضرة أو الدخول في دورة تدريبية، بل يحتاج الأمر تدريبا وتطبيقا لفترة معقولة من الزمن. بضعة أيام ربما لن تكفي، لكن بضعة أسابيع من الممارسة الدؤوبة سيكون لها مفعول واضح لملاحظة النتائج والتغيرات الإيجابية.

في هذا الصدد سأقترح تمرينا تطبيقيا يمكن ممارسته لعدة مرات، وذلك في وحدات مكررة بحسب الحاجة، ومقدار كل واحدة منها ثلاثة أسابيع.

يبدأ التمرين كالتالي، أولا، ضع في جيبك دفترا صغيرا وقلماً طوال الوقت.

ثانيا، قم في الأسبوع الأول بتدوين أي فكرة سلبية تعترض تفكيرك في أي وقت من نهار أو ليل، مع تاريخ ورودها ووقته في ذهنك. اكتب مثلا "مع مثل هذه الزحمة سأتأخر حتما عن موعدي الهام"، وقد تلاحظ أنه في الأيام الأخيرة من هذا الأسبوع أنك ستكتب أفكارا سلبية أكثر من أيامه الأولى، ليس لأنك أصبحت سلبيا أكثر كما قد تعتقد، ولكن لأن وعيك واعتيادك على كتابة هذه الأفكار مع مرور أيام الأسبوع الأول قد جعلك أقل عرضة لنسيان بعضها.

ثالثا، قم في الأسبوع الثاني بتدوين الأفكار الإيجابية فقط كلما جاءت إلى ذهنك مع تاريخ ورودها ووقته أيضا. اكتب مثلا "الجو جميل، سيسمح لي بالقيام بنزهة مع أسرتي"، "أنا في صحة جيدة ولله الحمد، سأخرج للمشي".

رابعا، اجلس في الأسبوع الثالث برفقة دفترك الصغير وما فيه من ملاحظات سلبية وإيجابية، راجع الإيجابية أولاً، ثم قم بعدّ أفكارك السلبية ومن ثم الإيجابية، ولعلك ستجد أن الأولى أكثر من الثانية.

خامسا، قم بأخذ كل فكرة سلبية على حدة، واعمل على تحويلها لفكرة إيجابية، مثلا: "مع هذه الزحمة سيمكنني أن أحضر وأرتب أفكاري بشكل أفضل لطرحها أثناء موعدي الهام، أو "مع هذه الزحمة سيمكنني الاستماع لتلك المادة الصوتية التي كنت أبحث عن الوقت للاستماع إليها كاملة"، "مع هذا الجو المغبر، لدي فرصة للبقاء مع أسرتي في المنزل وقضاء وقت طيب".

سادسا، ثابر على هذا التمرين بصدق وحماس وكرره لعدة مرات، وكن صريحا وصادقا مع نفسك، وإذا واظبت فعلا على كتابة كل أفكارك السلبية والإيجابية، فأنا متأكد أن الفارق بينهما سيتقلص مع مرور الأيام، بل ستندهش حينما تبدأ بملاحظة أن الأفكار الإيجابية أخذت تتفوق في الورود إلى ذهنك على الأفكار السلبية.

من يرغب صادقا في إصلاح نفسه فليستمر في ممارسة هذا التمرين حتى يظفر بثمراته، وسيقضي بعون الله على تشاؤمه الدائم وعلى تلك المخاوف والشكوك والأفكار السلبية التي تنقص من رغبته في الإقدام على الحياة والعمل وتعترض نجاحه. لا أقول بأنه سيخسر حصافته وذكاءه وحذره من مصادر الخطر المحيطة به في الحياة، ولكنه سيصبح قادرا على وضع هذه المصادر في حجمها الطبيعي الصحيح، ومن ثم سيتمكن من التعامل معها بشكل سليم.

إن شئنا طمس عروبتنا فلنردد: «الشرق الأوسط وشمال إفريقيا»!

أ. د. محمد جابر الأنصاري *
www.dr-mohamed-alansari.com

أحياناً لا يقصد المرء استبدال مصطلح بآخر ولكن شيوعه وتكراره يؤديان إلى ذلك، وقد استبدل تعبير "الوطن العربي" بذلك المصطلح الهجين غداة هزيمة يونيو 1967، ثم موت صاحب المشروع سنة 1970 في شهر سبتمبر، وكان تعبيراً شائعاً بين العرب قبل الهزيمة وقبل أن يموت جمال عبدالناصر.

وإذا شئنا الرجوع إلى برنارد لويس في "تاريخ الشرق الأوسط" وهو الذي أراد إشاعة مصطلح "الشرق الأوسط"، وعنوان كتابه يدل على ذلك، أقول إذا شئنا الرجوع إلى برنارد لويس، وهو من أعداء العرب ووحدتهم، فإن "الشرق الأوسط" مصطلح أطلقه أحد ضباط البحرية البريطانية سنة 1902، الأمر الذي يدل على أصل المصطلح، مؤكداً النتيجة المرتبطة بصياغته وظهوره، وكيف أنه لم يَرد في أيّ مرجع قديم.

وإذا استثنينا إيران وتركيا وإسرائيل، فإن "الشرق الأوسط" يبقى "عربياً"، لا شبهة في ذلك، أما "شمال إفريقيا"، الذي أطلقه الفرنسيون على "الجزائر" فكان المذيع في البرنامج المخصص للثورة الجزائرية في "صوت العرب"، يردد "شمال إفريقيا... بلادنا"، وذلك أيام المد الناصري الكاسح بزعامة جمال عبدالناصر أيضاً، والذي أصر على تأييد الثورة الجزائرية بعد أن هاجمت فرق بلاده في "حرب السويس"، وكان الغرض الإطاحة به وبحكمه، وانطلاقاً من دعوته لوحدة النضال العربي، تمهيداً لمشروعه في الوحدة العربية الجامعة من المحيط إلى الخليج.

ذلك هو أصل "المصطلحين": الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وقد عادت مصر في عهد "الرئيس" المشير عبدالفتاح السيسي إلى عروبتها، وفي الصحف المصرية والإعلام المصري اليوم تجد حساً قومياً عروبياً وعربياً. قال تعالى في محكم كتابه: "ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين"... إلى آخر الآية الكريمة، فالانقلاب التاريخي الإلهي حاصل رغم كل المكر، فالله خير الماكرين، وذلك ما حققه الله على يد جيش مصر، والمشير السيسي.

إن "الوطن العربي" تعبير من كلمتين، فما الداعي لاستخدام الكلمات الأربع؟ وإن "العروبة" حقيقة ساطعة في هذه المنطقة، وعندما تعود مصر وتنهض وتقوى، فإن الأمور تعود إلى نصابها، وفي ذلك لابد من الإشادة بسياسة الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ومحمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي، وحمد بن عيسى آل خليفة، ملك البحرين، لأنهم أدركوا أهمية دور مصر وتأثيرها وتأثير أعدائها.

وقبل ذلك كانت "الناصرية" تجري في عروقهم، والناصرية أحد التعبيرات عن الارتباط بمصر وتأييدها؛ لذلك كانت إسرائيل والغرب على عداء مستحكم مع المشروع الوحدوي الذي طرحه عبدالناصر. والناصرية ليست بالأمر المستورد، فقد كانت الجماهير العربية تردد أيام النصر: "من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر"، وجاء فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، أيام الهزيمة في قمة السودان ليقول، بعد أن شرح عبدالناصر احتياجات مصر وسكت بقية العرب، "لبيك عبدالناصر".

فكانت الناصرية تجري في العروق وتلك هي شهادة أكثر السعوديين ومن بينهم خالد بن سلطان بن عبدالعزيز، في كتابه "مقاتل من الصحراء"، وكنا قد استشهدنا به في أكثر من مناسبة.

* أكاديمي ومفكر من البحرين

غايلز ميريت*

PROJECT SYNDICATE

النظام العالمي بعد روسيا

يُخطئ المراقبون إذا تصوروا أن تدخل روسيا في أوكرانيا وأزمة شبه جزيرة القرم التي أعقبت ذلك التدخل بداية للحرب الباردة الثانية، ولكن في حين أن العواقب المترتبة على تحدي الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للقانون الدولي والرأي العام ستكون مختلفة تماماً عن تداعيات الحملة الطويلة التي شنها الاتحاد السوفياتي لإلحاق الهزيمة بالرأسمالية، فمن المؤكد أن التأثيرات الجيوسياسية غير المقصودة لن تقل عن تلك التداعيات خطورة، إن لم تكن أشد جسامة.

إن روسيا تعمل بكل هِمة على تهميش نفسها في الاقتصاد العالَمي، وبهذا فإنها تنذر بقدوم حقبة جديدة في العلاقات الدولية، ولن تكون العقوبات الدولية سوى العاقبة الأولى. فالأسواق والبنوك تُعاقِب عدم اليقين، ولهذا فإن الاقتصاد الروسي سوف ينعزل تدريجياً عن التجارة والاستثمار العالميين ويتجه نحو مستقبل من النمو البطيء أو انعدام النمو.

وهي جنازة روسيا ذاتها بطبيعة الحال. أما العواقب الأوسع نطاقاً فسوف تتخلص في زعزعة أركان السياسة الدولية وتقويض محاولات الحكومات لمعالجة مشاكل مشتركة، من الحوكمة العالمية إلى تغير المناخ، بل قد تكون النتيجة إيجابية، حيث تفتح الأحداث في أوكرانيا على نحو غير متوقع الطريق إلى عملية إعادة تنظيم كبرى للبلدان الناشئة السريعة النمو والتي ستلعب أدواراً حاسمة في القرن الحادي والعشرين.

وسوف تكون النتيجة الأولى للمواجهة بين الغرب وروسيا وضع نهاية لمجموعة البريكس (البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب إفريقيا). فعلى مدى عشر سنوات أو أكثر كان التجمع المكون من البرازيل وروسيا والهند والصين ثم جنوب إفريقيا مؤخراً فاعلاً رئيساً في السياسة العالمية، فتحدى قوة أوروبا وأميركا الصناعيتين ونفوذهما، ولكن مع اقتراب روسيا من التحول إلى دولة منبوذة على الصعيد الدولي، سواء باستبعادها أو انسحابها من الأسواق العالمية والمحافل الدولية المتعددة الأطراف، فيبدو أن أيام قمم ومؤسسات مجموعة البريكس، مثل بنك التنمية الوليد التابع للمجموعة، باتت معدودة.

وقد لا تنحل مجموعة البريكس رسميا، ولكن من الصعب أن نتصور أن البلدان الأعضاء الأربعة الأخرى قد تكون على استعداد لتعريض مواقعها في الاقتصاد الخاضع للعولمة للخطر بالانجرار إلى الصراع الروسي مع العالم، وشيئاً فشيئا، فإن فكرة تمثيل المجموعة لصوت متماسك في الشؤون العالمية سوف تُدفن بهدوء.

الواقع أن روسيا الشاردة، العازمة على ملاحقة سياسات خارجية عدائية وإنشاء كتلة تجارية تتألف من "الاتحاد الأوراسي"، تفرض مخاطر واضحة. بيد أن النتيجة الأكثر أهمية تتلخص في الكيفية التي قد تتم بها إعادة ترتيب شركاء روسيا السابقين في مجموعة البريكس مع غيرها من الاقتصادات الناشئة الكبرى في مجموعة العشرين.

ولنتأمل هنا استقبال الساحة العالمية لمجموعة "ميكتا"- مجموعة جديدة تتألف من المكسيك وإندونيسيا وكوريا الجنوبية وتركيا وأستراليا. يخطط وزراء خارجية هذه البلدان للاجتماع قريباً في المكسيك لمناقشة أجندة مشتركة بشأن قضايا الحوكمة العالمية، وعندما التقوا أول مرة تحت راية ميكتا على هامش الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر الماضي، بدت المبادرة أكثر قليلاً من نادٍ للبلدان التي لم تتأهل لسبب أو آخر لعضوية مجموعة البريكس ولكنها لم ترق إلى وضع القوى الكبرى.

إن الصعوبات التي جلبتها روسيا على نفسها سوف تغير كل ذلك. فمع اقتراب تحالف البريكس من التحول بين عشية وضحاها تقريباً إلى كيان ذي شخصية مختلفة تماما، يصبح الطريق ممهداً لنشوء تجمع أكبر كثيراً من البلدان التي تشترك في العديد من نفس المخاوف والهموم.

تشترك بلدان مجموعة ميكتا في النمو الاقتصادي السريع والنفوذ المتزايد خارج حدودها، وهي تعاني مشاكل في مجال التنمية، ولكنها تُعد أيضاً نماذج للدينامية الاقتصادية والإبداع ولديها مصلحة كبيرة في تحديد الطريقة التي يجب أن تعاد بها صياغة مؤسسات وقواعد الاقتصاد العالمي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. والعديد من طموحاتها والتحديات التي تواجهها تتوافق مع نظيراتها لدى بلدان مجموعة البيكس (البريكس بعد استبعاد روسيا). في المزيج المتباين الذي يؤلف السياسة الدولية، قد يتبين في نهاية المطاف أن تحالفاً قوياً بين تسعة أعضاء مثل (بيكس-ميكتا) ثقيل وغير عملي إلى الحد الذي يجعل تطبيقه مستحيلا. والخلاصة رغم ذلك هي أن غياب روسيا المقبل من المشهد المتعدد الأطراف سوف يكون الحافز لفكر جديد في التعامل مع التحديات العالمية. والسؤال الأساسي الذي يطرح نفسه الآن هو ما إذا كان هذا من شأنه أن يحيي مجموعة العشرين أو يدمرها.

يبدو من الواضح الآن أن عضوية روسيا في مجموعة الثماني سوف تُلغى قريبا، وأن المجموعة سوف تعود إلى أصلها بوصفها مجموعة الدول السبع التي تضم الولايات المتحدة وكندا واليابان وألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة وإيطاليا، بالإضافة إلى الاتحاد الأوروبي. ولكن إلى أين قد يقود هذا مجموعة العشرين- بما في ذلك استمرار مشاركة روسيا فيها- فهو أمر أقل وضوحا. كانت مجموعة العشرين آلية مخيبة للآمال إلى حد ما في معالجة القضايا العالمية، أما فكرة جلب عمالقة الاقتصادات الناشئة إلى نفس المنتدى الذي يضم الاقتصادات الصناعية الرائدة فهي لم تُثمِر بعد أي إنجازات قابلة للقياس.

والأمر الواضح الآن هو أن إقدام بوتين في عالم اليوم المتزايد الترابط على إقصاء روسيا عن كل مؤسسات المجتمع الدولي على هذا النحو يبدو من قبيل إلحاق الهزيمة بالذات. فبعد مرور جيل منذ انهيار الشيوعية، بدأ اقتصاد روسيا- ومستويات معيشة مواطنيها- يتعافى. ولكن مجموع سكانها الذي يتقلص بسرعة بسبب الشيخوخة السكانية، واعتمادها على الطاقة والصادرات من السلع الأساسية، من العوامل التي تجعل هذا التعافي هشاً للغاية، وسوف يكتشف الكرملين قريباً أنه أكثر تأثراً بالأحداث والتطورات الخارجية مما قد يعترف به حتى الآن.

* رئيس تحرير عالم أوروبا، ورئيس مؤسستي الفكر والرأي "أصدقاء أوروبا"، و«أجندة الأمن والدفاع».
«بروجيكت سنديكيت» بالاتفاق مع "الجريدة"